عالمية اللغة العربية وهيمنتها على اللغات الأخرى
قراءة ناقدة في تقسيم اللغات

الدكتور:جاسم علي جاسم
معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السعودية

الملخص:

يناقش هذا البحث مسألة جوهرية، وعلى غاية من الأهمية، تخص مسألة تقسيم اللغات، لمعرفة عما إذا كان تقسيمها إلى ثلاث فصائل لغوية سليماً أم لا. وذلك من خلال مناقشة آراء العلماء الأوربيين، من أمثال: أوغست لودويك شلوتزر وماكس مولر وغيرهما في هذه المسألة. وتبيّن لنا زيف هذا الادعاء وبطلانه، من خلال الأدلة الدامغة: القرآنية الكريمة، واللغوية والمادية، الساطعة سطوع الشمس في وضح النهار. واتَّضح لنا أن اللغات فصيلتان لا ثلاث، هما: العربية والسومرية، فالعربية أمّ اللغات المقدّسة والمهيمنة على غيرها من اللغات، بما فيها أخواتها. والسومرية أم اللغات الأعجمية أواللغات غير المقدسة.

Abstract:

This research discusses an important matter, which deals with the dividing of languages into three families, to know its truth or not, through a discussion of European scholars ideas, for example, August Ludwig Schlotzer, Max Muller and others. We have found that, the falseness of western scholars ideas, through the Quranic verses as well as linguistics evidences. We have shown that, the languages are two families only not three, these are: Arabic and Sumerians. Arabic is a mother of the Holy languages and it has overpower of the other languages, while Sumerians one, is the mother of other foreign languages. In terms of Chomsky, has not bring any things new to linguistics, that's mean, Arabic grammar is a global one, and Chomsky has applied it into English language, and form English was distributed into other foreign languages all over the world.

المقدمة

يسود الاعتقاد بأن اللغات تنقسم إلى ثلاث فصائل رئيسة، هي: (السامية، والهندو – أوربية، والطورانية). وكان أول من استخدم مصطلح اللغات السامية، على أساس ديني: العالم النمساوي: شلوتزر Schlotzer، وذلك عام 1781م، عند دراسته كتاب العهد القديم، ولغته العبرية وبعض النصوص الآرامية (سليمان، 2005م، ص 65؛ علي، 1380هـ، ج1، ص 222 وما بعدها؛ سوسة، 1987م، ص 329 –360؛ سفر التكوين، الإصحاح العاشر) ولقي هذا المصطلح قبولاً في الأوساط اللغوية العالمية، وأصبح مسلمة لا فكاك عنها. وقد ظن شلوتزر أن المتكلمين بهذه اللغات ينحدرون أصلاً من جد واحد هو سام بن نوح، معتمداً في ذلك على ما ورد في سفر التكوين، من أسفار العهد القديم (التوراة)، عن أنساب نوح وأولاده الثلاثة سام وحام ويافث، فسمّى لغات نسل سام باللغات السامية والمتكلمين بها بالساميين، وقد وقعت التسمية موقعاً حسناً في نفوس الباحثين واللغويين، ولاسيما الأوربيين منهم، لسهولتها؛ ولأنها تؤكد ما جاء في الكتاب المقدس الذي يقرأه اليهود والنصارى ويقدسونه في مختلف أرجاء المعمورة، وأخذت هذه التسمية طريقها في الانتشار والذيوع، واستخدمت من قبل الباحثين العرب، والأجانب على حد سواء، حتى أنه أصبح من الحرج بمكان لأي باحث علمي أن يناقش دقة التسمية ومدى مطابقتها للمعلومات التأريخية المتوفرة عن تأريخ المنطقة؛ لأن مثل هذه المناقشة قد تسفر عن نتائج تتعارض مع ما جاء في الكتاب المقدس على الرغم من تحريفه. ومع ذلك، دعا عدد من الباحثين العرب وبخاصة العراقيين المهتمين بالدراسات التأريخية واللغوية (سليمان، 2005م، ص 65؛ علي، 1380هـ، ج1، ص 225 وما بعدها؛ باقر، وغيره، 1973م، ص 63– 64؛ سليمان، 1978م، القسم الأول، ص 98– 100؛ عبد الوهاب، 1979م، ص 44 وما بعدها؛ الأحمد، 1981م، ص3)، منذ سنوات عدة إلى ضرورة إعادة النظر في هذه التسمية في ضوء الدراسات التأريخية واللغوية والأنثروبولوجية الحديثة، وإلى إيجاد تسمية بديلة لهذا المصطلح في حالة ثبوت عدم دقة التسمية القديمة.

وعلى مبدأ المشاكلة: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ الله، وَاللهُ خَيْرُ المَاكِرِيْن﴾[1]، وقوله: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيْدُونَ كَيْدَاً وَأَكِيْدُ كَيْدَاً﴾[2]. فإننا نرفض هذا التقسيم، ونعيد تقسيم اللغات إلى فصيلتين

لغويتين رئيستين لا ثالث لهما، وعلى أساس ديني أيضاً. وفيما يلي نبين رؤيتنا للتقسيم الجديد، ووجاهة هذا الرأي وقوته.

وقبل أن نخوض في هذا التفصيل، نودّ أن ننبّه إلى حقيقة مؤدّاها أن هذه الفكرة جاءت من خلال ما يلي:

– التساؤلات المتكررة للأستاذ الدكتور: زيدان علي جاسم، حول: كيف تُصنَّف اللغات الأوربية مع فصيلة اللغات الهندية والفارسية؟ علماً بأن الهند وفارس تفصل بينهما وبين أوربا البلاد العربية، والشعوب التي كانت تقطن هذه المناطق من: السريان والآراميين والأكاديين وغيرهم، وهم ينتمون للعائلة اللغوية العربية نفسها.

– إجراء الباحث عدة دراسات تقابلية متنوعة بين العربية والماليزية والتركية والفارسية، ودراسات في تحليل الأخطاء للطلاب غير الناطقين بالعربية[3].

– والقراءة بشكل عرضي في كتاب: "اللغة الأكدية البابلية – الآشورية تاريخها وتدوينها وقواعدها" (سليمان، 2005م، ص 65– 67؛ الهاشمي، 1978م، ص 639– 672). حيث تساءل المؤلف حول ضرورة وجود تسمية بديلة للغات السامية؛ لأن الدراسات الآثارية والتأريخية واللغوية، فضلاً عن الدراسات الأنثروبولوجية، التي تمت خلال القرنين الماضيين قد أثبتت عدم دقة ما ورد في أسفار العهد القديم عن أنساب نوح عليه السلام وأولاده، بالإضافة إلى الخلط الكثير في أسفار العهد القديم، ولا يمكن تفسير هذا الاضطراب أو الخلط الذي جاء في سفر التكوين إلا بأنه ناتج عن جهل كُتَّاب تلك الأسفار بأصول أقوام الشرق الأدنى القديم وعلاقة بعضهم بعضاً، وربما اعتمادهم في إيجاد العلائق بينهم على بعض المظاهر الحضارية، كاستخدام الكتابة المسمارية مثلاً، ووضع ذلك في إطار ديني، يرتبط بنوح دون أن يكون هناك سند تاريخي معتمد لذلك. أضف إلى ذلك، أن كلمة "السامية" استعملت في أوربا إبان الحرب العالمية الثانية وما بعدها؛ للدلالة على اليهود فقط، كما وصف من يعاديهم من الأوربيين النازيين بأنهم ضد السامية anti–Semitic، كما أن الصهاينة وصفوا العرب بأنهم أعداء السامية أيضاً، على الرغم من أنهم ينحدرون من مجموعة الأقوام التي أطلق عليها مصطلح: "الأقوام السامية"، حسب تسمية شلوتزر (سليمان، 2005م،

ص 68؛ ظاظا، 1971م، ص 5- 17؛ موسكاتي، 1957م، ص52 وما بعدها، علي، 1380هـ، ج8، ص147-149، 535؛ باقر، وغيره، 1973م، ص 65 وما بعدها؛ سليمان، 1978م، ص 98-100؛ الأحمد، 1981م، ص 3).

- وأخيراً، ما ذكره الأستاذ الدكتور محمود أحمد نحلة، حول التصنيف النوعي للغات والعالميات، حيث قال: إن اللغة العربية لم تأخذ مكانها الجدير بها في التصنيف النوعي للغات أو للعالميات؛ وعدد مستخدميها لغة رسمية يزيد على مائة وخمسين مليوناً ... وبالرغم من ذلك تجدهم يحيدون عنها ويؤثرون عليها العبرية... (نحلة، 2011م، ص 203- 204).

وهذا يحتم علينا، بل يجب أن نجد تسمية مناسبة، ومغايرة لهذه المجموعة وغيرها، وذلك عملاً بمبدأ: "فخالفوهم"، كما قال عليه الصلاة والسلام[4].

مشكلة البحث

تكمن مشكلة البحث في مناقشة فكرة تصنيف اللغات وتقسيمها إلى ثلاث فصائل هي: السامية والهندو-أوربية والطورانية، حسب تصنيف ماكس مولر Max Muller (الصالح، 1994م، ص 41-42؛ وافي، 1962م، ص 179 وما بعدها؛ حجازي، 1973م، ص 119-135؛ سليمان، 2005م، ص 69- 70؛ الزيدي، 1987م، ص 61-62) الذي قسم اللغات إلى ثلاث فصائل، وذلك لمعرفة مدى دقة هذا التصنيف ومصداقيته.

أسئلة البحث

يحاول البحث الإجابة عن عدة أسئلة، هي:

1- ما التقسيم السليم للفصائل اللغوية، أو هل تقسيم العلماء للغات إلى ثلاث فصائل منطقي ومعقول، أو أن هذا التقسيم غير منطقي وغير معقول؟
2- هل اللغة الهندية واللغة الفارسية من فصيلة اللغات الأوربية؟
3- ما الجديد فيما كتبه تشومسكي في علم اللغة، وهل يعرف تشومسكي اللغة العربية أم لا؟
4- هل اللغة للإنس والجن، أو أن للحيوانات والجمادات لغة أيضاً؟
5- ما صفات اللغة لكي تكون عالمية، أو ما الذي يجعل اللغة العربية لغة عالمية؟

أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى تحقيق ما يلي:

1- التأكيد على أن اللغات فصيلتان لا فصائل لغوية ثلاث.

2- عالمية اللغة العربية وهيمنتها على اللغات الأخرى.

3- الاهتمام باللغة العربية، والحرص على تعلمها، والإقرار بفضلها وريادتها.

أهمية البحث

تأتي أهمية البحث من خلال ما يلي:

1- معرفة حقيقة تسمية الفصائل اللغوية إلى ثلاث فصائل.

2- بيان وجهة النظر المغايرة لهذا التصنيف، ومصداقيتها ومنطقيتها ووجاهتها.

3- تصحيح الأفكار والمعتقدات السائدة حول هذا التصنيف المسلَّم به، ومحاولة نقده.

مصطلحات البحث

اللغة العربية (وأخواتها، أو اللغات المقدسة): ونقصد باللغة العربية، هي اللغة التي نزل بها القرآن الكريم، ولغة الشعر الجاهلي وما قبله، وهي المهيمنة على اللغات المقدسة الأخرى، مثل: السريانية، والآرامية، والكنعانية، والأكادية: البابلية والآشورية، والفينيقية، والعبرية، والإبلية، والأوغاريتية، والحبشية، وغيرها من الفصيلة نفسها، وموطنها: الجزيرة العربية، وبلاد الرافدين، وبلاد الشام، ومصر. وهذه اللغات تقدم الفعل على الاسم، والعكس صحيح أيضاً، وعندما نذكر العربية لاحقاً، نعني بها: العربية بالدرجة الأولى مع الاحتفاظ بحق أخواتها الأخريات؛ لأنها اللغة المهيمنة عليهن؛ بسبب اندثار أغلب تلك اللغات تقريباً (سليمان، 2005م، ص 21- 95؛ الصالح، 1994م، ص 41-70).

اللغة السومرية (أو الأعجمية وأخواتها): ونعني بها اللغة السومرية، وهي اللغة الأم للغات التالية: الهندية، والفارسية، والأوربية، والطورانية، والإسترونيسية، والبولينيزية، وباقي اللغات العالمية الأخرى، فهي مقابل اللغة العربية لغة القرآن الكريم. وبعبارة أخرى، هي اللغات غير المقدسة التي لم ينزل بها أي من الكتب السماوية، وموطنها: جنوبي العراق وباقي دول العالم. وهذه اللغات تقدم الاسم على الفعل، ولا يصح غير ذلك (سليمان، 2005م، ص 21-95؛ الصالح، 1994م، ص 41-70).

منهج البحث

يعتمد الباحث على المنهج الوصفي التحليلي المقارن والنقدي؛ لإثبات الحجة والدليل على ما يُقَدَّم من أمثلة وبراهين علمية.

الدراسات السابقة

هناك عدة دراسات أجريت على اللغة الإنجليزية تبين أصول اللغات الأوربية وترجعها إلى اللغة العربية. ونظراً لاختصار البحث سنركز على دراسة واحدة من تلك الدراسات، وهي بعنوان: "الأصول العربية للضمائر الشخصية في الإنجليزية والألمانية والفرنسية: من منظور نظرية جذر الكلمة"(جاسم، 2013م، ص 351- 381؛ وللمزيد انظر الموقع التالي: https://qu-sa.academia.edu/ZaidanJassem).

هدف البحث إلى تبيان الأصول العربية للضمائر الشخصية في اللغة الإنجليزية والألمانية والفرنسية بخاصة، واللاتينية، واليونانية، وكافة اللغات المرتبطة معها والتي تدعى بالهندو-أوروبية عموماً، ويعتمد البحث على نظرية جذر الكلمة Lexical Root Theory في تحليل المادة العلمية إطارا نظرياً له، وتتكون مادة البحث من الضمائر الشخصية في اللغات الخمس الأول، ولا سيما الإنجليزية بالتحديد نظراً لمكانتها ودورها العالمي حالياً، وتشير النتائج إلى أن الضمائر الشخصية في كافة اللغات هاتيك تنحدر من اللغة العربية مباشرة وترتبط بها ارتباطاً وثيقاً، كما تبين أن الفروق الظاهرية بينها مردها إلى عوامل التغيير اللغوي على المستوى الصوتي والصرفي والدلالي، ويترتب على ذلك رفض مزاعم النهج المقارن Comparative Method في علم اللغة التاريخي Comparative Historical Linguistics الذي ينادي بعدم ارتباط اللغة العربية والإنجليزية وغيرها من تلك اللغات وانتفاء العلاقة بينها. والحقيقة أن اللغة العربية وحدها دون سواها هي التي يمكن من خلالها تفسير الفوارق اللغوية فيما بين تلك اللغات جميعها. ولهذا البحث فوائد جمة في تعليم اللغات، والتقارب بين الشعوب، والحضارات، وإعادة تفسير التاريخ البشري من حيث علاقته باللغة.

تعليق على الدراسات السابقة: بعد البحث والاستقصاء اتفق مع الباحث في أن اللغة الإنجليزية واللغات الأوربية أخذت الكثير من القواعد والمفردات العربية وضمنتها في قواعدها ومفرداتها، ولكنها من فصيلة اللغة السومرية التي تبدأ الجملة فيها بالاسم لا بالفعل، وتقدم الصفة على الموصوف، وغير ذلك من القواعد، انظر التفصيل أدناه.

والآن نجيب عن الأسئلة التي عرضناها في البحث:

السؤال الأول: ما التقسيم السليم للفصائل اللغوية، أو هل تقسيم العلماء للغات إلى فصائل ثلاث منطقي ومعقول، أو أن هذا التقسيم غير منطقي وغير معقول؟

ينبغي على الباحث المحقق أن يثبت الحجة الباهرة لما يزعم، وأن يثبت الأدلة القاطعة التي لا لبس فيها ولا جدال حول صحة حجته.

ويحسن بنا قبل الخوض في الشرح والتحليل والتعليل، أن نذكر بأنه بعد الاطلاع على مجمل التفاسير والشروح حول الآيات، نخلص إلى حقيقتين لفتتا انتباهنا في أثناء تصفح معاني الآيات الكريمات، ينبغي ذكرهما هنا لأهميتهما، وهما:

1- يقول الألوسي: "ومن حق البليغ أن يجرد الكلام للدلالة على ما ساقه له، ولا يأتي بزائد عليه إلا ما يشد من عضده ... وهذا أصل من الأصول يجب أن يكون على ذكر، ويبنى عليه الحذف والإثبات والتقييد والإطلاق إلى غير ذلك في كلام الله تعالى، وكل كلام بليغ (الألوسي، 1994م، ج12، ص 380، تفسير سورة فصلت: آية 44).

2- ويعضد هذا الرأي قول آخر للناصري يقول فيه: ولاتساع البحث ودقته في هذا المجال، وفتح باب الاكتشاف فيه أمام الأجيال، قال تعالى: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾[5]، إن قوله: ﴿مَا لا تَعْلَمُونَ﴾، أي: مما لا يعلمه المخاطبون عند نزول القرآن، ولكن يمكن أن يكتشفه من يأتي بعدهم، متى رفع عنه الحجاب في مستقبل الزمان (الناصري، 1985م، ج5، ص 364).

وبعد هذه التوطئة اليسيرة، إليكم هذه الآيات البيّنات، والأدلة اللغوية والمادية، التي تدل دلالة واضحة على صحة رأينا القائل: بأن اللغات فصيلتان لا فصائل ثلاث.

أولاً: الدليل القرآني:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾[6]. أي أن هناك لسانين/ لغتين: لغة عربية وأخرى أعجمية.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾[7]. وهذا دليل آخر على أن اللغات نوعان لا ثلاث: عربية وأعجمية أيضاً. والدليل الأكثر وضوحاً وبياناً وتفصيلاً، هو التالي:

قال تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[8].

يقول القرطبي في تفسير هذه الآية: أي خلق صنفين ونوعين مختلفين، مثل: الخير والشر، والجن والإنس، والبكرة والعشي، والليل والنهار... وكالأشياء المختلفة الألوان من الطعوم، والأراييح والأصوات، أي جعلنا هذا كهذا دلالة على قدرتنا، ومن قدر على هذا فليقدر على الإعادة، وأُضيفُ إلى ما قاله القرطبي أيضاً: اللغة العربية، واللغة الأعجمية. أي أن هناك لغات تبدأ الجمل فيها بالأفعال، ولغات تبدأ الجمل فيها بالأسماء (القرطبي، 2005م، مجلد 9، ص35، تفسير سورة فصلت، آية، 44).

ثانياً: الأدلة اللغوية والمادية

وفيما يلي نوجز القول ونفصله في هذا الدليل اللغوي والمادي.

من خلال الأدلة القرآنية الدامغة أعلاه، رأينا أن نقسم اللغات إلى فصيلتين، هما: اللغة العربية (وأخواتها أو اللغات المقدسة)، واللغة السومرية (أو الأعجمية، ويدخل فيها باقي اللغات التي لم ينزل بها الوحي، أو اللغات غير المقدسة)، والدليل هو من كتاب الله – عز وجل – ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيْلاً﴾[9]. حيث يقول – سبحانه وتعالى – ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[10].

وفيما يلي نلخص هذه النظرة حول تقسيم اللغات.

أ– اللغة السومرية أو الأعجمية وأخواتها

إن اللغة السومرية أقدم اللغات الإنسانية المعروفة من حيث تأريخ التدوين، وهي لغة الأقوام السومرية التي استقرّت في القسم الجنوبي من العراق وبرزت على المسرح التاريخي والسياسي طوال الألف الثالث قبل الميلاد وما قبله (سليمان، 2005م، ص 28؛ تراسك، 2013م، ص 317). وقد ألقى يوليس أوبرت (Jules Oppert) في العام 1869م، محاضرة أعلن فيها: بأنه ينبغي أن يسمّى هؤلاء الناس بالسومريين، وتسمّى لغتهم بالسومرية استناداً إلى ما جاء في لقب "ملك سومر وأكد" الذي استخدمه عدد من الحكام الأوائل، كما أشار أوبرت إلى الشبه الموجود بين اللغة السومرية واللغة التركية والفنلندية والهنغارية[11].

وتعد اللغة السومرية لغة منفردة لا تشبه اللغة الأكدية، ولا غيرها من اللغات المحلية المعاصرة أو التالية لها سواء أكان ذلك في التراكيب أم القواعد أم المفردات أم حتى الأصوات. وتشير الدراسات اللغوية إلى أن اللغة السومرية لا تنتمي إلى أي من العائلات اللغوية المعروفة، على الرغم من وجود بعض أوجه التشابه بينها وبين عدد من اللغات المعروفة،

مثل: اللغة التركية والهنغارية والقوقاسية، إلا أن هذا الشبه – كما يرى سليمان – لا يرقى إلى درجة القرابة أو الانتماء إلى عائلة لغوية واحدة، ويمكن القول: إن اللغة السومرية تنتمي إلى عائلة لغوية قديمة انقرضت جميع لغاتها من الاستخدام. ما عدا اللغة السومرية، وذلك قبل اختراع الكتابة كوسيلة للتدوين ولخفظ اللغات للأجيال التالية، ولذلك لا سبيل إلى معرفة أفراد تلك العائلة اللغوية، وخصائصها لعدم توفر الأدلة المادية عنها (سليمان، 2005م، ص 31.).

وتبيّن لنا بعد الاطلاع والقراءة المتأنية والمقارنة: أن اللغة السومرية هي أم اللغات الأعجمية، وذلك بناء على الأسباب التالية (سليمان، 2005م، ص 30– 34.):

1- إنها لغة ملصقة Agglutinative، ويقصد بالإلصاق هنا قابلية تكوين ألفاظ ذات معان جديدة بلصق كلمتين أو أكثر مع بعضهما البعض، مثلاً: (تتكون كلمة "لوجال: ملك أو رجل عظيم" من الكلمتين: "لو" بمعنى "رجل"، و"جال" بمعنى "عظيم".

[إن اللغات الأعجمية تشترك في هذه الخاصية، فهي تؤلف من كلمتين أوأكثر كلمة واحدة، وعلى سبيل المثال: الإنكليزية والإندونيسية والماليزية والتركية، إلخ، مثال: علم اللغة الاجتماعي sociolinguistics [12]].

2- إنها لغة غير قابلة للتصريف، أي أنها ليست من اللغات المعربة، كما هي الحال في اللغات العربية القديمة واللغات الهندية – الأوربية، وجذورها بصفة عامة لا تتغير. أما وحدتها القواعدية الأساسية فهي المركب اللفظي، وليس الكلمة المفردة.

3- تتألف أصواتها من الحروف الصامتة، والحروف الصائتة (العلة). ومن قواعد اللغة السومرية الصوتية، إسقاط الحرف الصحيح، إن هو جاء في نهاية الكلمة، ولم تتبعه أداة نحوية تبدأ بحرف علة، أما إذا أعقبته أداة نحوية تبدأ بحروف علة، فيتكون من الحرف الصحيح، وحرف العلة مقطع صوتي جديد. [ومن الأمثلة على ذلك في اللغة الإنجليزية: Through يعني: من خلال. إن الحرفين الأخيرين لا ينطقان، وتلفظ هكذا: "ثرو"].

4- تتألف الجذور السومرية بصورة عامة من مقطع واحد، وإن كان هناك بعض الجذور المؤلفة من أكثر من مقطع. وتتألف كثير من المفردات السومرية من أكثر من كلمة واحدة، حيث تتصف اللغة السومرية بصفة التركيب أو الإلصاق. [ففي اللغة الماليزية (الملايوية) مثلاً، تتكون كلمة Pelajaran من ثلاثة مقاطع، وهي Pel + ajar + an، ومعناها: التربية، التدريس. الجذر هو: ajar ويعني التعليم، والسابقة Pel واللاحقة an].

5- لا تفرق اللغة السومرية بين الاسم المذكر والمؤنث قواعدياً، إلا إذا كانت طبيعة الاسم مذكرة أو مؤنثة، وقد تضاف أداة خاصة لتحديد جنس الاسم، في حين أن هناك تفريقاً واضحاً بين العاقل وغير العاقل من الأسماء يتبع غالباً واقع الأمر وحقيقة الاسم.

6- لا يوجد سوى العدد المفرد والجمع، وقد يضعّف الجذر، للإشارة إلى الجمع، أو تضاف أداة نحوية خاصة بالجمع [كما في اللغات الإسترونيسية: كالماليزية والإندونيسية، فهي تضعف الكلمة للدلالة على الجمع: مثلاً: بيت Rumah، جمعها: بيت بيت rumah– Rumah، والفصيلة الطورانية، مثل اللغة التركية: تضيف أداة نحوية خاصة بالجمع، وهي: lar & ler، مثال: كُتُبٌ Kitaplar، وبيوت Evler].

7- تتألف الجملة في السومرية من جزئين رئيسين، يضم الأول: جملة الاسم، والثاني: جملة الفعل وسوابقه وحشواته وملحقاته. وتأتي وحدة الفعل عادة في نهاية الجملة.

لهذه الأسباب مجتمعة، أعتقد جازماً بأن اللغة السومرية هي أم اللغات الأعجمية، ثم أخذت أخواتها، أي اللغات المنضوية تحت لوائها، بعض الظواهر اللغوية من الفصيلة الثانية (العربية) لمواكبة التطور اللغوي (وهذه الظاهرة تسمى بالاقتراض اللغوي).

ب- اللغة العربية وأخواتها

اللغة العربية موغلة في القدم، قِدَمَ قوم عاد، وثمود، وأصحاب الرس، والأيكة، وغيرهم، وإن اختلفت لغاتهم/ لهجاتهم عن لغة القرآن الكريم، والشعر الجاهلي، فهم عرب لحماً

ودماً، ولا يحق لأحد أن يخرجهم من دائرة اللغة العربية، والبلاد العربية؛ لأنهم ولدوا ونشأوا في هذه البلاد، وإن لم يطلق عليهم كلمة "عرب". قال تعالى:﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُم قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الأَوْتَادِ﴾[13]. وقال تعالى:﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُم هُوداً﴾[14]. وقال تعالى:﴿وَعَاداً وَثَمُودَاْ وَأَصْحَبَ الرَّسِ وَقُرُوناً بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيراً﴾[15]. وإن أول ورود لكلمة "عرب" كان في زمن الهلال الخصيب، في خبر (نرام– سن) أو (نرام– سين) (Naram–sin) الأكادي (2270–2223 ق.م.) بأرض بابل. ثم وردت كلمة "عرب" في الكتابات الآشورية في كتابات الملك (شلمنصر الثالث) ملك آشور، في السنة 853 أو 854 ق.م. ووجد المستشرقون اسم ثمود في النصوص الآشورية من أيام الملك سرجون الثاني، والذي كان يحكم في الفترة 722 ق.م. تقريباً أو ما قبلها (علي، 1380هـ، ج1، ص 25–26، 33، 294–295، 304–305، 324–326، 573– 574).

ومن خصائص العربية (وأخواتها) أنها:

1– ترجع أصول معظم المفردات اللغوية إلى جذر ثلاثي يتألف غالباً من ثلاثة أصوات صامتة.

2– تعتمد على الأصوات الصامتة، لا على الأصوات المتحركة، أي أن المعنى الرئيس للكلمة يرتبط بالأصوات الصامتة فيها، أما الأصوات المتحركة فإنها تحدد المعنى المطلوب.

3– تتألف الجملة الرئيسية من جزء واحد، وهو: الفعل وفاعله. ويأتي الفعل في بداية الجملة عادة.

4– ليس فيها إلا جنسان هما: المذكر والمؤنث.

5– العدد فيه ظاهرة غريبة، وهي علاقة العدد بالمعدود العكسية من الثلاثة إلى العشرة، أي أنه يذكر العدد مع المعدود المؤنث، ويؤنث مع المذكر. ويفرد ويثنى ويجمع.

6– لغة تصريفية واشتقاقية (سليمان، 2005م، ص91– 93؛ حجازي، 1973م، ص 139 –150؛ عبد التواب، 1973م، ص 30–31؛ وافي، ب.ت. ص 12–17).

ولإقامة الحجة الدامغة على أن اللغات نوعان لا ثلاث، نذكر القضايا اللغوية التالية:

- اللغة العربية: يتقدم الفعل على الاسم (الفاعل)، وقد يتقدم الاسم عليه في شروط معينة. أما اللغة السومرية / الأعجمية أو اللغات الأخرى فيجب تقديم الاسم على الفعل، ولا يصح غير ذلك ألبتة.

- اللغة العربية: يوجد فيها ظاهرة التذكير والتأنيث، أما اللغة السومرية فلا توجد فيها هذه الظاهرة[16]. مثال على هاتين الحالتين السابقتين:

العربية	الإنجليزية	الماليزية
يلعب الولد	The boy **is playing**	Adik **bermain**
تلعب البنت	the girl **is playing**	Gadis **bermain**
يلعبون	They **are playing**	Mereka **bermain**
يلعبن	They **are playing**	Mereka **bermain**

- اللغة العربية: الصفة تتبع الموصوف، في الإفراد والتثنية والجمع، والتذكير، والتأنيث، والتعريف، والتنكير، والإعراب. أما اللغة السومرية وأخواتها فلا توجد هذه الحالات. مثال:

العربية	الإنجليزية	تقالوق[17]	لغة سَنْقُو[18]
البنت الجميلة	the beautiful **girl**	Ang Magandang **babae**	Pendri **masika**

البنتان الجميلتان	the beautiful two **girls**	Ang Magagandang **babae**	Pendri **masika** oussé
البنات الجميلات	the beautiful **girls**	Ang Magagandang **babae**	A Pendri A **masika**

- اللغة العربية: العدد فيها يذكر ويؤنث، ويميّز، ويفرد، ويثنى، ويجمع، ويسبق المعدود العدد، من: واحد إلى اثنين 1–2، أما من ثلاثة إلى عشرة 3– 10 فيسبق العدد المعدود. أما اللغة السومرية وأخواتها فلا يوجد فيها سوى المفرد، والجمع. مثال:

العربية	الفارسية	الإنجليزية	التركية
كتاب (واحد)	يك **كتاب**	one **book**	bir **kitap**
كتابان (اثنان)	دو **كتاب**	two **books**	iki **kitap**
ثلاثة كتب	سه **كتاب**	three **books**	üç **kitap**

- اللغة العربية: الاسم الموصول يذكر ويؤنث، ويفرد ويثنى ويجمع حسب الحالات الإعرابية. أما اللغة السومرية فلا توجد فيها هذه الحالات. مثال:

العربية	الأردية	الفارسية	الماليزية	السواحيلية(19)	ماندينكا(20)
الذي، التي، اللذان،	جو	كه، چه	Yang	اَمْبَاي	وُو Wo

اللذين، اللتان، اللتين، الذين، اللاتي.				Ambaye اَمْبَاو Ambao	وُوُل Wol

وبإيجاز، إن ترتيب الجملة في العربية يكون كالتالي: الفعل ثم الفاعل ثم (المفعول به)، وقد يتقدّم الفاعل، أو المفعول على الفعل. أما اللغة السومرية / الأعجمية فيتقدم الاسم على الفعل دائماً. وهذا يدل دلالة واضحة على أن اللغات نوعان، فهي إما أن تبدأ بالفعل، كما في العربية وأخواتها. وإما أن تبدأ بالاسم، كما في السومرية وأخواتها (رشيد، 1972م،ص 27). وأما ما يذكره بعض العلماء من أن للغات تصنيفات كثيرة، مثل: التصنيف الوراثي والتصنيف الإقليمي، والتصنيف النوعي اللغوي (اللغات التحليلية واللغات التأليفية) ثم أضيف إلى هذا التصنيف النوعي للغات قسماً ثالثاً ورابعاً، مثل: اللغات العزلية، واللصقية والتصريفية، والدمجية، وهناك من صنف اللغات إلى ثمانية أصناف كذلك. وأخيراً ظهر تصنيف العالميات اللغوية الذي نادى به تشومسكي وجرينبرج في العام 1962 وما بعده (نحلة، 2011م، ص 135- 146، 157-165). فهذه الأنواع كلها لا تخرج عن كون اللغات إما أن تبدأ بالفعل أو تبدأ بالاسم.

ثالثاً: كلمة عرب

إذا نظرنا إلى حروف هذه الكلمة وجدناها حروفاً صحيحة سالمة (ع، ر، ب)، أما أخوات العربية من الفصيلة ذاتها، والسومرية وفروعها، ففي حروفها حروف علة، مثل: السومرية (سومر)، والعبرية (عابر)، والآرامية (آرام)، والكنعانية (كنعان)، والفينيقية (فينيقي)، والسريانية (سريان)، والأكادية (أكاد، والبابلية، بابل، والآشورية، آشور) إلخ. لذلك لم تقو هذه اللغات على البقاء والصمود، ففيها علة ونقص. أما كلمة "عرب"، فكافة حروفها سليمة صحيحة. ولا يوجد فيها حرف علة أبداً؛ لذلك اختارها الله لغة للقرآن الكريم، ولغة لخاتم

الأنبياء والرسالات؛ لأنها المهيمنة على غيرها من اللغات، والمتداولة منذ زمن سحيق. كما أن القرآن الكريم مهيمن على باقي الكتب السماوية السابقة.

وينبثق من السؤال الأول، السؤال الآتي:

السؤال الثاني:

- هل اللغة الهندية واللغة الفارسية من فصيلة اللغات الأوربية؟ وبعبارة أخرى، هل التصنيف الثلاثي للغات منطقي ومعقول؟

أعتقد أن اللغات الفارسية والهندية والأوربية والطورانية وغيرها، هي من فصيلة اللغة السومرية الأم؛ وذلك للسببين التاليين:

1– لم يذكر لنا القرآن الكريم: أن نوحاً له ثلاثة أبناء، وإنما اكتفى بقوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾[21] وقوله: ﴿وَجَعَلنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ البَاقِيْن﴾[22]، كما أن النبي – عليه الصلاة والسلام – لم يثبت عنه أنه قال: إن نوحاً له أبناء ثلاثة، هم: سام وحام ويافث، كما ورد في الحديث التالي – عن سمرة أن نبي الله – صلى الله عليه وسلم – قال[23]: سام أبو العرب، وحام أبو الحبش، ويافث أبو الروم، فهو حديث غير صحيح وضعيف الإسناد. وبالتالي لا يحتج به ألبتة. وهذا يفند حجة الأوربيين – شلوتزر ومولر – من أن اللغات تنقسم إلى ثلاث فصائل لغوية. – ولو صح هذا لوجب أن نطلق اللغة اليافثية على لغات الأوربيين، لا أن نطلق عليها: الهندو – أوربية. واللغة السامية على لغات العرب، واللغة الحامية على لغات الأفارقة، ولو سلمنا جدلاً بهذه المعلومة، لوجب أن يتكلم هؤلاء الأخوة لغة أبيهم نوح – عليه السلام – لا أن يتكلموا لغات مختلفة متباينة. وهذا يعني أن لغتهم واحدة لا ثلاث لغات متباينة. وفي ذلك آية لمن أراد أن يتذكر أو أراد خشوعاً. والقرآن الكريم والحديث الشريف أقوى حجة من قول الصعاليك في علم اللغة ونشأتها. فهذه الحجة داحضة، ونحن نرفضها جملة وتفصيلاً؛ لأنها لا تقارب الحقيقة العلمية. أضف إلى ذلك، أن اللغة السنسكريتية القديمة كانت في القرن السادس عشر ق.م. وجاء بانيني عالم اللغة السنسكريتي، في القرن السادس ق.م. أما اللغة السومرية، فظهرت في الألف الرابع 3200 ق.م.، وهذا بون شاسع بينهما من حيث الأقدمية (تراسك، 2013م، ص 317.)!

اللغة العربية	اللغة الفارسية	اللغة الهندية/ الأردية	اللغة التركية	اللغة الإنجليزية
أكل محمد التفاحة	محمد سيب **راخورد** محمد التفاحة **أكل**	محمد نے سيب **كهايا** محمد التفاحة **أكل**	Muhammed elma **yedi** محمد التفاحة **أكل**	Mohamad **ate** an apple محمد **أكل** التفاحة

2- ترتيب الكلمات في الجملة: الاسم يأتي قبل الفعل في اللغات السومرية والهندية والفارسية والأوربية والطورانية، والصينية، إلخ. وبعبارة ثانية، لا يصح أن تبدأ الجملة بالفعل (ما عدا فعل الأمر الذي تشترك فيه كل اللغات، ويأتي في بداية الجملة. وللمزيد حول قواعد اللغات الأعجمية، انظر، رشيد، 1972م؛ أبو مغلي، 1987م، ص 27؛ الشامان، 1994م). مثال:

وبذلك تتفق اللغات: الهندية والأردية، والفارسية، والأوربية، والطورانية، وغيرها، مع اللغة السومرية الأم، في تقديم الاسم على الفعل هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، إن العربية لها ميزتان: تقدم الفعل على الاسم، وتقدم الاسم على الفعل، وفي كلتا الحالتين الجملة صحيحة نحوياً؛ ولذلك جاءت هيمنتها على اللغات الأخرى؛ لأنها تحتوي على الحالتين جميعاً. فهذا الفضاء الواسع لها، جعلها مرنة إلى درجة كبيرة جداً، بل وجعلها تستوعب غيرها من اللغات، وتضعهن في حضنها الدافئ الذي وسع كل ذلك. كيف لا وقد اختارها الله – عز وجل – لغة خاتم الأنبياء والكتب المقدسة، والمهيمن على غيره من الكتب السابقة.

السؤال الثالث

- ما الجديد فيما كتبه تشومسكي في علم اللغة؟ وهل يعرف تشومسكي اللغة العربية أم لا؟

في أثناء حضور المؤتمر الدولي – حول: "اتجاهات حديثة في تعليم العربية لغة ثانية"، المنعقد في جامعة الملك سعود، في معهد اللغويات العربية في الرياض، بتاريخ 10 – 12 /4 / 1435هـ الموافق 10 – 12 /2 / 2014م – حصل لقاء علمي بيني وبين الأستاذ

الدكتور: فواز محمد الراشد العبد الحق[24]، أفادني فيه: بأنه التقى مع تشومسكي شخصياً في الشهر الرابع، من العام 1984م، في مدينة (ماديسن Madison)، في الولايات المتحدة الأمريكية، في قاعة (فان هايس Van Hise)، وقال الدكتور فواز لتشومسكي: هل تعرف اللغة العربية؟ قال له: نعم، تعلمتها في مصر. وتأثرت بأفكار النحاة العرب القدامى، ولكن لا أعرف إلى أي مدرسة أنتمي؟ ثم سأله الدكتور فواز، إن كتابك: –

Lectures on Government and Binding: The Pisa Lectures (Studies in Generative Grammar), First Edition 1981. –

مأخوذ عن كتاب "العوامل المائة" في النحو العربي القديم، ومؤلفه ابن الأنباري، ولعبد القاهر الجرجاني كتاب يحمل العنوان نفسه. فأجابه: نعم، صحيح. وقال له هذا الكتاب مشهور في النحو العربي، ويُعرف باسم: نظرية العامل والمعمول[25]. ويجب عليك – أي تشومسكي – أن تذكر هذا في أبحاثك القادمة، فقال (تشومسكي) للدكتور فواز: "بأنه إذا أعاد طباعة كتابه هذا فسوف يرد الفضل إلى أهله". صرح الدكتور فواز بهذا الكلام أمام المشاركين جميعاً في ذلك المؤتمر من عرب وأوربيين وأمريكيين وآسيويين وأفارقة وغيرهم، في جامعة الملك سعود، في يوم الأربعاء (12 / 4/ 1435هـ الموافق 12 / 2/ 2014م)، في الساعة الثانية وأربعين دقيقة بعد الظهر تقريباً.

وأضيف إلى ذلك، أنني اطلعت على كتاب منشور لتشومسكي في العام 1974م تقريباً في حدود السبعين 70 صفحة. ذكر في ثنايا الكتاب كلمة (As in Arabic كما في العربية)، وهذا يدل على أن تشومسكي يعرف العربية، علاوة على أنه عبري، والعبرية أخت العربية، وأخذت منها الكثير، وأكثر من 60% من مفردات العبرية هي عربية، وأن النحو العبري صورة طبق الأصل عن النحو العربي (كمال، 1982م، ص 44 وما بعدها؛ جاسم وجاسم، 2010م، ص 1–18؛ جاسم، 2009م، ص269–282؛ جاسم، 2014م، ص 397– 402، وانظر الموقع التالي: http://iu.academia.edu/JassemJassem ، نحلة، 2011م، ص 174 –185).

السؤال الرابع:

- هل اللغة للإنس والجن، أو أن للحيوانات والجمادات لغة؟

إن الإنس والجن لهما لغة، وأنهما الثقلان المكلفان، وهذا لا يحتاج إلى برهان بصريح القرآن والدليل مخاطبة الله – سبحانه وتعالى – للسموات والأرض والجبال وغيرها من الجمادات. حيث يقول – عز وجل –:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ﴾[26]. إن تأويب الجبال مع داود لغة، وكذلك تأويب الطير، ولقد عُلِّم سليمان منطق الطير كذلك.

وقال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَان﴾[27]. هذا الحوار دار بين الله – عز وجل – ومخلوقاته، وأنه – سبحانه وتعالى – عرض الأمانة على السماء والأرض والجبال فأبين أن يحملنها، فكلمة " أَبَيْنَ"، أي: قلن لله – عز وجل –: نحن لا نستطيع أن نحمل الأمانة. هذه لغة ومحاورة بين الله – عز وجل – ومخلوقاته، ولو لم تكن هذه الجمادات أو هذه المخلوقات تتكلم، أو تفهم اللغة لما خاطبها الله – عز وجل – بهذا الخطاب!

وقال تعالى: "ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِين" [28]. وهذا حوار آخر بين الله – عز وجل – والسماء والأرض كذلك، وأمرهما بالإتيان طوعاً أو كرهاً، فأجابتا: ﴿أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾، أي تحدثتا مع الله – عز وجل – الذي أنطق كل شيء ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلا يُسَبِّح بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيْحَهُمْ﴾[29]. وكذلك السمع واليدان والرجلان وأعضاء الجسم، سوف تشهد على الإنسان يوم القيامة بما كسب في الدنيا، وهذا ثابت في القرآن الكريم (جاسم، 1432هـ 2011م، ص 532– 548).

وفي الحديث الشريف: سمعتُ ابن عباس يقول: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "ليأتين هذا الحَجَرُ يومَ القيامةِ وله عينانِ يُبْصِرُ بِهما، ولسانٌ ينطقُ به، يشهد على من استلمه بحق"[30].

وقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أيضاً: من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سهّل الله له طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحَتَها رضاً لطالب العلم، وإن طالب العلم يستغفر له من في السماء والأرض، حتى الحيتان في الماء... [31].

وعن ابن عباس، قال: جاء أعرابي إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال: بم أعرف أنك نبي؟ قال: إن دعوتُ هذا العِذقَ من هذه النخلة، أتشهد أني رسول الله ؟ فدعاه

رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فجعل ينزل من النخلة حتى سقط إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – ثم قال: ارجع، فعادَ. فأسلم الأعرابي[32].

وعن أنس بن مالك، أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – خطب إلى لِزْقِ جذع، واتخذوا له منبراً، فَخَطَبَ عليه، فَحَنَّ الجِذعُ حنينَ الناقة، فنزل النبي – صلى الله عليه وسلم – فَمَسَّهُ، فَسَكَنَ[33]."إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ" [34]، الله أكبر ولله الحمد.

السؤال الخامس:

- ما صفات اللغة لكي تكون عالمية؟ أو ما الذي يجعل اللغة العربية لغة عالمية؟

لكي تكون اللغة عالمية، كما قال (كريستال، 2013م، ص 11–13) يجب أن تتضمن قوتين مهمتين، هما: القوة العسكرية والسياسية، والقوة الاقتصادية (وما فيها من تقنية واتصالات وصناعة وغير ذلك من عوامل القوة والتمكين).

وبالإضافة إلى هذين العاملين المؤثرين حقاً في عالمية اللغة وذيوعها، إلا أن هناك بعض العوامل الأخرى التي نستطيع أن نضيفها إليها، وهي:

– عامل الثبات وعدم التغير من حين إلى آخر.

لكي تكون اللغة عالمية يجب أن تتصف بعامل الثبات، والاستمرار على مدار الأيام والسنين، وفي هذا الخصوص يقول تراسك عن اللغة الإنجليزية: إن اللغة الإنجليزية عمرها تقريباً 1000 سنة. ويرجع تاريخها إلى القرن 1100م تقريباً، ولكن هذه اللغة في كل حقبة تتغير، فإنجليزية العام 1100 التي كان يتحدثها (الملك ألفريد الكبير King Alfred the Great)، غير تلك التي يتحدثها: (ونستون تشرشل Winston Churchill)، ولد عام 1871م، و(أوسكار وايلد Oscar Wilde)، ولد عام 1854م، و(تشارلز دارون Charlles Darwin)، و(أبراهام لنكولن Abraham Lincoln)، ولدا عام 1809م، و(جورج واشنطن George Washington)، ولد عام 1732م، و(ألكسندر بوب Alexander Pope)، ولد عام 1688م، و(جوناثان سويفت Jonathan Swift)، ولد عام 1667م، و(روبرت بويل Robert Boyle)، ولد عام 1627م، و(وليام شكسبير William Shakespeare)، ولد عام 1564م ... [إن اللغة الإنجليزية هي لغة العالم في الوقت الراهن، هذا صحيح، لا مراء فيه ولا جدال. – ولكننا نريد أن تكون اللغة عالمية دائماً، لا لفترة محدودة] – إن لغة (الملك

ألفريد) غير اللغة التي يتكلمها (شكسبير)، ولغة (شكسبير) غير اللغة التي يتكلمها (جيفري تشوسر) ولد عام 1343م، التي لم تكن مفهومة إلا بشق الأنفس، بل لا أحد يستطيع أن يفهم كلامة أبدًا، وكلما رجعنا إلى الخلف في الزمن نجد اللغة تختلف كثيراً عن الإنجليزية اليوم. وبعبارة أدق: "إن إنجليزية الأزمان التالية تغيرت تغيراً جذرياً عن إنجليزية الأزمنة الأولى" (تراسك، 2013م، ص303– 304 وما بعدها).

هذا الأمر لا ينطبق على اللغة العربية؛ لأنها لغة عالمية بإسلاميتها، ولغة القرآن الكريم والدين الإسلامي، فهي لغة للإسلام والمسلمين. فالمسلمون يمارسون شعائرهم الدينية باللغة العربية، كقراءة القرآن الكريم، وفي أثناء الصلاة، ويتعلمونها بدافع الحب والفطرة؛ لا بدافع النفعية أو لدوافع سياسية واقتصادية (جاسم، 2011م، ص433–454). والعرب يفهمون الشعر الجاهلي كما كان منذ 1600 ألف وستمئة سنة تقريباً، وكذلك القرآن الكريم. وهذا دليل على ثبات اللغة العربية واحتفاظها بكيانها المقدس. ولم يطرأ عليها أي تغيير أو تحريف من ذلك الحين على أقل تقدير، بل وتستوعب المعاني الجديدة للمفردات، وتحتفظ بالقديمة منها. وكما هو معروف، البقاء للأصلح والأكثر ثباتاً ودواماً في قلوب الناس. ومن الفتاوى الهدامة الجديدة التي تفتئت على اللغة العربية ظلماً وعدواناً قولها (مجموعة مؤلفين، 2007م): إن العربية ليست مقدسة، ولم يضمن الله حفظها. وإن 3000 ثلاثة آلاف لغة تموت هذا القرن، ومنها العربية طبقاً لليونسكو. وإن سياسات الدول العربية تحقق نجاحاً باهراً في القضاء على اللغة العربية. جاءت هذه الفتاوى في مؤتمر عالمي نعى اللغة العربية الذي نظمه المجلس العربي للطفولة والتنمية بعنوان: "لغة الطفل العربي في عصر العولمة"، في مقر جامعة الدول العربية، في الفترة ما بين 17 –19 /2/ 2007م، وقد شارك في هذا المؤتمر أكثر من 500 خمسمئة باحث ينتمون إلى 19 تسع عشرة دولة عربية، وإلى عدد من الدول الأخرى، وهَدَفُ المؤتمر هو تدارس كيفية تنمية اللغة العربية لدى أطفالنا؛ لتكون وسيلة فاعلة في اكتسابهم المعرفة، وتواصلهم مع تراثهم ومجتمعهم، وتعزيز هويتهم وانتمائهم، وبلورة الذات؛ ولتكون منطلقاً للتنمية البشرية، ولغة مشتركة للأقطار العربية تساعد على تعاونها ووحدتها. والمفاجأة الصارخة هي أن هذا المؤتمر أفتى بعدم قدسية اللغة العربية، وقد وردت هذه الفتوى في البحث الذي قدمه في الجلسة الأولى للمؤتمر مفتي الديار المصرية الدكتور علي جمعة الذي أوضح أن القرآن الكريم لا يشتمل على جميع اللغة العربية من جذور، وتراكيب ومعان، وإنما

على نسبة ضئيلة منها (أقل من 30% من الجذور العربية، وأن تلك النسبة الصغيرة في سياقاتها ودلالاتها المحددة هي التي تستمد قدسيتها من القرآن الكريم، وأما غالبية اللغة العربية، فليست مقدسة، ولهذا فهي عرضة للتغيير، وطبعاً للانقراض كذلك). ويرى عالم اللغة السعودي الدكتور أحمد محمد الضبيب (مدير جامعة الملك سعود سابقاً، وعضو مجلس الشورى السعودي، والمجامع العربية في بغداد ودمشق والرباط والقاهرة حالياً، ومن المؤمنين بضرورة تعريب التعليم العالي، ولكنه لم يتمكن من التعريب في الجامعة في أثناء توليه إدارتها. وقد فسّر الآية: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلنَا الذِّكرَ وَإِنَّا لَهُ لحَافِظُون﴾[35]، إن الله – سبحانه وتعالى –لم يتعهد بحفظ اللغة العربية أو ضمان بقائها، وإنما ضمن حفظ "الذكر"، (القرآن الكريم)، ولهذا فإن اللغة العربية يمكن أن تنقرض، ويبقى الذكر الحكيم بشريعته. وقد أكدت منظمة اليونسكو ذلك، فقد أسفر أحد تقاريرها الأخيرة بأن عدداً من اللغات مهددة بالانقراض، ومن بينها اللغة العربية. أقول – وبالله التوفيق – رداً على هذه الأباطيل: إن هذه الفتاوى مضلة ومخرجة من يقولها، ويفكر فيها، ويعتقد بها! من الملة؛ لأن الذي يكفر ببعض الكتاب فهو كمن يكفر بالكتاب كله، قال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[36]. إن اللغة العربية والقرآن الكريم صنوان لا ينفكان عن بعضهما بعضاً، فلا يفهم القرآن الكريم بغير اللغة العربية والعكس صحيح. واللغة تأخذ قدسيتها من الكتاب المقدس الذي أُنْزِلَ بها، وليس من الدول القوية أو الملوك أو الحكام أو المنظمات الإنسانية! ومن يفكر بهذا التفكير إرضاء لتلك المنظمات والدول والملوك وغيرها لقاء دراهم معدودة فعلمه يكون وبالاً عليه يوم القيامة؛ لأن من يبطل جزءاً فهو كمن أبطل الكل، ونعوذ بالله من الضلال بعد الإيمان. إن هذه الأقلام المأجورة والرخيصة لهي أشد عداوة على اللغة من أعدائها بل هي أداة الأعداء في النيل من قدسية اللغة وحرمتها وإن تبوأت من المناصب ما تبوأت. وسَتُسْأل تلك الأقلام عن علمها يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم!

والعامل الآخر هو: السمو الروحي والفكري، أي مخاطبة العقل والقلب معاً. وذلك لتطمئن النفس إلى ما يقال، فمتى ما تطابق العقل والقلب كانت اللغة عالمية وإنسانية وراقية. أما إذا كانت تخاطب العقل فقط، فهي لغة جوفاء خاوية من المعاني النبيلة التي تريح النفس

وتشرحها، وتجعلها مطمئنة. فاللغة الإنجليزية هي لغة منطقية وعقلية فقط، أما الجانب الروحي والإنساني فلا مكان لهما فيها.

وبالإضافة إلى أن اللغة العربية تخاطب العقل والقلب معاً، لها قوة سياسية وعسكرية واقتصادية لا تخفى على أحد، وعلى كل مسلم في العالم أن يتعلمها لأداء شعائره الدينية، وهذا فرض عين على كل مسلم، فهي عالمية بإسلاميتها، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلعَالمَينْ﴾[37]. ولا يصح أن يصلي المسلم وهو لا يعرف أو ينطق باللغة العربية، وعلى الأقل قراءة القرآن في الصلاة والآذان، فهي لغة خالدة تعهدها الله – سبحانه وتعالى – بالحفظ والرعاية والاستمرار، واختارها لغة لخاتم الرسالات والأنبياء، ودليل على حيويتها وعالميتها وثباتها واستمرارها مهما طال الزمان، قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلنَا الذِّكرَ وَإِنَّا لَهُ لحَافِظُون﴾[38].

والدليل الآخر على عالمية اللغة العربية، أن نظرية القواعد التوليدية التحويلية (لتشومسكي) مقتبسة من قواعد اللغة العربية، وكذلك البنية السطحية والبنية العميقة، وعن الإنجليزية أخذت بقية اللغات العالمية الأخرى وطبقت تلك القواعد على لغاتها (جاسم وجاسم، 2010م، ص 10–16؛ جاسم، 2009م، ص69–82؛ جاسم، 2014م، ص 397–402؛ جاسم، 1432هـ –2011م، ص 528– 532، نحلة، 2011م، ص 174 – 185). وقد خَلُصَ (شعيب، 1999م) في بحثه عن الجملة عند ابن هشام – الذي يعد أول من أفرد للجملة باباً في كتابه "مغني اللبيب" وفي صدّر كتابه الموسوم "الإعراب عن قواعد الإعراب" – إلى أن مبادئ نظرية تشومسكي اللغوية تعتمد اعتماداً كلياً على تحليل ابن هشام، ومن النتائج التي توصل إليها ما يلي:

1– وصول ابن هشام منذ زمن بعيد إلى الجملة النواة أو الأساسية، كما تعددت معايير تقسيم الجملة عنده. فالنحو عند ابن هشام لم يقتصر على الخط الأفقي السطحي للتركيب، بل ينتظم المستويات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية.

2– كان ابن هشام سابقاً للتحويليين سبقاً بعيداً، فقد توصل إلى: أن الأصول التي يقوم عليها عماد تحليل الجملة والتركيب وهي: الشكل والمضمون، ودور السياق اللغوي والأداء الصوتي، و الرجوع إلى الأصول المقدرة، وأن كل لغة تتكون من مجموعة محدودة من الأصوات ومن مجموعة محدودة من

الرموز الكتابية، ومع ذلك فإنها تنتج أو تولد جملاً لا نهاية لها، وهذه أمور كلية يتولد منها ما لا حصر من الصور الجزئية.

الخاتمة

تبيّن لنا مما سبق، أن مسألة تقسيم اللغات إلى فصائل ثلاث، لم يكن صائباً، وأن اللغات تنقسم إلى فصيلتين: هما، العربية والسومرية، فالعربية هي أم اللغات المقدسة، والسومرية هي أم اللغات الأعجمية، أو اللغات غير المقدسة. وإن أصول نظرية تشومسكي اللغوية تعود إلى النحو العربي – الذي أصبح نحواً عالمياً – في العصر الحديث، وذلك من خلال تطبيق (تشومسكي) لنظريات النحو العربي على اللغة الإنجليزية، وعن الإنجليزية أخذت باقي اللغات في العالم. وإن للإنس، والجن، والحيوانات، والجمادات، وكل ما خلق الله له لغة. وإن من صفات اللغة العالمية، القوة السياسية والعسكرية والاقتصادية، والثبات والاستمرار وعدم التغير، والسمو الروحي والفكري، أو مخاطبة العقل والقلب معاً. حيث كان للعرب أعظم حضارتين في العالم على وجه الإطلاق. الحضارة البائدة، والحضارة الإسلامية الحالية، التي أنارت العالم بهديها ونورها ولا ينكرها إلا مكابر. وهذه بشهادة رب العزة والجلالة. حيث يقول – سبحانه تعالى – عن الحضارة العربية الأولى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ العِمَادِ * الّتي لَمْ يُخْلَق مِثْلُهَا فِي البِلَادِ * وثَمُوْدَ الذِّينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالوَادِ * وفِرْعَونَ ذِي الأَوْتَادِ﴾[39]. يقول الشعراوي في تفسير هذه الآيات البيّنات: إنها حضارات كبيرة، لها صيت وخبر في آذان الدنيا، وجاءت حضارة الفراعنة وقدماء المصريين بعد عاد وثمود. وقد وصف الله – سبحانه وتعالى – حضارة قوم عاد بأنها حضارة وصلت إلى درجة من الرقي لم يصل إليها أحد، ولم يخلق مثلها في البلاد، وهي أرقى من حضارة قدماء المصريين؛ ولذلك ذكرها الله في القرآن الكريم لعظم أمرها، فالعرب إذاً، كان لهم حضارة قديمة على خلاف ما يظن الناس من أنهم عرب بدو رُحَّل! وكذلك وصل التطور والعمران في ثمود إلى أنهم حفروا بيوتهم في صخور الجبال فارهين وعابثين، وما تزال آثارهم شاخصة حتى الآن في مدائن صالح بالسعودية. وهذه الحضارة يؤكدها القرآن الكريم بأنها وكل الحضارات القديمة قد زالت في غالبيتها ولا أثر لها، وإن وجد أثر فهو قليل وبسيط (الشعرواي، 1997م، ج6، ص 3507، ج8، ص 4753، ج 9، ص 5274). وأما الحضارة الثانية، فهي الحضارة

الإسلامية، حيث وصفنا الله بأننا خير أمة أخرجت للناس، حضارياً وخُلُقياً وعلمياً وغير ذلك من جوانب المعرفة، ومن أصدق قولاً من الله سبحانه وتعالى. وهذه حضارة باقية إلى أبد الآبدين، التي أشاعت النور إلى العالم أجمع بفضل القرآن الكريم.

ومن خصائص العربية والسومرية ما يلي (سليمان، 2005م، ص 93؛ رشيد، 1972م؛ حجازي، 1973م، ص 139– 150؛ عبد التواب، 1973م، ص 30–31؛ وافي، ب.ت.، ص 12–17):

1– اللغة العربية: ترجع أصول معظم المفردات اللغوية إلى جذر ثلاثي يتألف غالباً من ثلاثة أصوات صامتة. أما اللغة السومرية: فتتألف الجذور السومرية بصورة عامة من مقطع واحد.

2– اللغة العربية: تعتمد على الأصوات الصامتة، لا على الأصوات المتحركة، أي أن المعنى الرئيس للكلمة يرتبط بالأصوات الصامتة فيها، أما الأصوات المتحركة فإنها تحدد المعنى المطلوب. أما اللغة السومرية: فتتألف أصواتها من الحروف الصامتة والحروف الصائتة (العلة).

3– اللغة العربية: تتألف الجملة الرئيسية من جزء واحد، وهو: الفعل وفاعله. ويأتي الفعل في بداية الجملة عادة. أما اللغة السومرية: فتتألف الجملة فيها من جزءين رئيسين، يضم الأول: جملة الاسم، والثاني: جملة الفعل، وسوابقه، وحشواته، وملحقاته. وتأتي وحدة الفعل عادة في نهاية الجملة.

4– اللغة العربية: ليس فيها إلا جنسان هما: المذكر والمؤنث. أما اللغة السومرية: فلا تفرق بين الاسم المذكر والمؤنث قواعدياً، إلا إذا كانت طبيعة الاسم مذكرة أو مؤنثة.

5– اللغة العربية: العدد فيه ظاهرة غريبة، وهي علاقة العدد بالمعدود العكسية من الثلاثة إلى العشرة، أي أنه يذكر العدد مع المعدود المؤنث، ويؤنث مع المذكر. ويفرد ويثنى ويجمع. أما اللغة السومرية: فلا يوجد سوى العدد المفرد والجمع، وقد يضعّف الجذر، للإشارة إلى الجمع، أو تضاف أداة نحوية خاصة بالجمع.

6– اللغة العربية: لغة تصريفية واشتقاقية. أما اللغة السومرية: فلغة غير قابلة للتصريف.

توجيهات للأبحاث المستقبلية

- دراسة لغة الأقوام العربية البائدة لمعرفة صلتها بالعربية الفصحى (لغة القرآن الكريم)، من حيث ترتيب الكلمات في الجملة (الفعل والفاعل والمفعول)، أو (الفاعل والمفعول والفعل)، وبعبارة أخرى، تقديم الفعل على الاسم أم تقديم الاسم على الفعل، إلخ.
- إمكانية تقسيم اللغات وتصنيفها حسب:

– النظام الكتابي: العربي، أو اللاتيني، أو الهندي، أو الصيني.

– ترتيب الكلمات في الجملة: الفعل، الفاعل، المفعول. أو: الفاعل، الفعل، المفعول. أو: الفاعل، المفعول، الفعل. إلخ.

والله نسأل الإخلاص والسداد في القول والعمل.

الهوامش:

(1) – سورة الأنفال: 30.

(2) – سورة الطارق: 15-16.

(3) – انظر، قائمة المصادر والمراجع للباحث.

(4) – البخاري، محمد بن إسماعيل.1422هـ. صحيح البخاري. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. الطبعة الأولى، دار طوق النجاة. باب أحاديث الأنبياء، رقم: 3462.

(5) – سورة النحل: 8.

(6) – سورة النحل:103.

(7) – سورة فصلت: 44.

(8) – سورة الذاريات: 49.

(9) – سورة النساء: 122.

(10) – سورة الذاريات: 49.

(11) – سليمان. 2005م. المرجع السابق. ص 30.

(12) – من هنا فصاعداً، كل ما بين القوسين [ ] إضافة من الباحث.

(13) – سورة ص: 12.

(14) – سورة الأعراف: 65.

(15) – سورة الفرقان: 38.

(16) – انظر، اللغة السومرية أعلاه، فقرة رقم 5.

(17) – لغة تقالوق Tagalog، هي لغة الفلبين.

(18) – لغة سَنْغُو Sango: لغة أفريقيا الوسطى.

(19) – اللغة السواحيلية: هي لغة كينيا وتنزانيا وبورنودي وأوغندا وغيرها، في القارة الإفريقية. (تستخدم الاسم الموصول: اَمْبَاي Ambaye للمفرد بأنواعه، وتستخدم: اَمْبَاو Ambaoللمثنى والجمع بأنواعه).

(20) – لغة ماندينكا: لغة دولة غامبيا في القارة الإفريقية. (تستخدم الاسم الموصول: وُو wo للمفرد بأنواعه، وتستخدم: وُوُل wol للجمع بأنواعه).

(21)- سورة الإسراء: 3.

(22)- سورة الصافات: 77.

(23)- ابن حنبل، أحمد. 1999م. مسند الإمام أحمد بن حنبل. تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخران. الطبعة الأولى، بيروت: مؤسسة الرسالة. ج33، ص 292. الحديث إسناده ضعيف.

(24) – الأستاذ الدكتور فواز، من المملكة الأردنية الهاشمية، حيث كان يشغل منصب عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة آل البيت في الأردن. ويعمل الآن في جامعة اليرموك، في قسم اللغة الإنجليزية، (أُجرِي اللقاء معه في يوم الأربعاء 2014/2/12م، في الساعة الثانية وأربعين دقيقة بعد الظهر) وعنوان بريده الإلكتروني، هو:

fawazm57@gmail.com fawaz_m@yu.edu.jo

(25) – إن وأخواتها، وكان وأخواتها، وحروف الجر، كلها عوامل، والمعمول هو: اسم إن وكان وخبرهما، والاسم المجرور. ويطلق عليها تشومسكي عبارة: proper governor، أي : العامل الأصلي.

(26) – سورة سبأ: 10.

(27) – سورة الأحزاب: 72.

(28) – سورة فصلت: 11.

(29) – سورة الإسراء: 44.

(30) – ابن ماجه، محمد بن يزيد. 2009م. السنن. تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل رشيد، وسعيد اللحام. الطبعة الأولى، دمشق: دار الرسالة العلمية. ج4، ص173. حديث صحيح.

(31) – ابن ماجه، محمد بن يزيد. 2009م. السنن. تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل رشيد، وسعيد اللحام. الطبعة الأولى، دمشق: دار الرسالة العلمية. ج1، ص151. حديث حسن بشواهده.

(32) – الألباني، محمد ناصر الدين. 2000م. صحيح سنن الترمذي. الطبعة الأولى، الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع. مج3، ص490. صحيح دون قوله: فأسلم الأعرابي.

(33) – الألباني، محمد ناصر الدين. 2000م. صحيح سنن الترمذي. الطبعة الأولى، الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع. مج3، ص489.

(34) – سورة النحل: 67.

(35) – سورة الحجر: 9.

(36) – سورة البقرة: 85.

(37) – سورة الأنبياء: 107.

(38) – سورة الحجر: 9.

(39)– سورة الفجر: 6-10.